استهلال البحث

قد استقبلت الهند اللغة العربية وأهلها دوما - منذ عصور قبل الإسلام- بالصدر الرحيب والوجه الطلق، والذين نزحوا من العرب إليها امتزجوا بثقافتها امتزاجا حتى استوطن كثيرمنهم فيها فى شكل مستدام، وكانوا نازحين إليها فى تلك الأيام تجارا يحملون الدين والثقافة، وكانت التجارة الهدف المنشود لهم ، ولكن منذ ظهورالإسلام فى ديار العرب صارت الدعوة الإسلامية أهم الأهداف لنزوحهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكثرت أسفارهم منذ ذلك الحين إلى ديارنا، فنظر إليهم سلفنا نظرة القبول والترحيب، وعاملوا معهم معاملة حسنة، وأخذوا ثقافتهم ولغتهم أخذا شاملا حتى أصبحت ديارنا أبرز الشعوب غير الإسلامية لإرساء قواعد اللغة العربية فيها و نشرها.

وسعدت الهند بمولود جهابذة الدين الإسلام واللغة العربية بعدد كبير بعد دخول الإسلام إليها الذين لم يستأثروا من شخصياتهم وإسهاماتهم الهنود فقط بل الكثيرون الآخرون فى العرب والغرب. وفى مقدمة هؤلاء العظام الشاه ولي الله الدهلوي وأسباطه الدهلويون، والشيخ قاسم النانوتوي ومن تبعه من علماء الإسلام، والسيد عبد الحي الحسني والمتخرجون فى ندوة العلماء. وأنجبت الهند أيضا أمثالهم قبلهم وبعدهم، وهؤلاء عاشوا للغة العربية وضحوا من أجلها بالنفس والنفيس. والمكتبات العربية فتملأ دواليبها وأطباقها بمؤلفات الهنود العربية الإسلامية، والتى تدل على كثرة تناول الهنود هذه اللغة حبا وحبرا.

وقد أسست فى أنحاء الهند منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي كثير من المعاهد التعليمية الإسلامية، ولا يزال يزداد عددها قفزا قفزا ، فتَكثر أعداد الشخصيات الإسلامية تلقائيا الذين يقفزون للدراسات الإسلامية بكل حيوية. ومن المعلوم جيدا أن الآداب الإسلامية فمصادرها الرئيسية تتواجد باللغة العربية، وبها يتوسع نطاقها دراسة وبحثا، ونطقا وكتابة.

بينما السياسة والاقتصاد العالميين تقرّبان الهند والعالم العربي فى شكل مغناطيسي منذ أوائل القرن العشرين، فالحكومة الهندية ما زالت ولا تزال تؤسس الأقسام العربية فى الكليات والجامعات الهندية لازدياد الممارسين فى اللغة العربية لتتقوّي بهم صلاتها التجارية ببلاد العرب، وكذلك الهند تشجّع الهنودعلى إقامة الصلات الدينية والثقافية حتى يستفد بها الشعب الهندي.

فهذه المدارس الإسلامية والأقسام العربية والمؤسسات الثقافية والدينية الهندية تهتم إلى حد بعيد بتطوير اللغة العربية وآدابها. والمطابع الحديثة، والتسهيلات الطباعية، والتكنولوجية الحديثة، والمجلات والجرائد العربية، وفرص النقل والترجمة، والصلات الاقتصادية والثقافية والسياسية ظلت تساهم مساهمة كبيرة فى تعميم اللغة العربية وتطويرها.

وإضافة إلى ذلك فإن عديدا من العلماء والكتاب الهنود يسهر لياليهم فى وقتنا المعاصر لنشر الكتب العربية فى شتى الموضوعات. فقد صدرت فى السنوات الأخيرة كتبا بالعربية لها شأن بالآداب الإسلامية كالتفسير، والحديث، والفقه، والدعوة الإسلامية وفكرتها، والتاريخ الإسلامي، وتراجم العلماء المسلمين، والتصوف، إلى جانب الكتب حول اللغة العربية وآدابها، والنقد، والنحو والصرف، والتراجم، والمقالات حول القضايا السياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية والاقتصادية، والبحوث الجامعية العلمية والأدبية.

وقد جعل الكتّاب الهنود ومؤلفاتهم اللغة العربية من هم المواضع للباحثين الجامعيين، فقام عدد من الباحثين فى الجامعات الهندية وخارجها بمعالجة هذه الكتابات تحليلا وتحقيقا ويتبعون فى بحوثهم الأساليب الحديثة. ولكن هذا البحث يمتاز ويختلف عن البحوث العلمية جميعا لأنه يحوي الفروع كلها، فهو يتضمن الكتابات العربية فيما يتعلق بالتفسير والحديث والفقه والآداب الإسلامية الأخرى، بالإضافة إلى الكتابات العربية فى اللغة والأدب والثقافة والخطابة والصحافة والمناهج التعليمية والتاريخ والقضايا المختلفة الأخرى.

ونظرا لقلة الموارد والوقت لم يمكن لهذا الباحث أن يعالج كل ما نشر فى الهند خلال هذه الفترة الممتدة لحوالى عشرين سنة فحدد دراسته هذه من حيث تشمل شمال الهند فقط، كما تقتصر هى على الفترة ما بعد عام ١٩٩٠م، بعنوان "الكتابات العربية فى شمال الهند منذ عام ١٩٩٠م: دراسة تحليلية". فقد قام هذا الباحث بالتحليل فى هذه الدراسة معظم الكتب العربية التى نشرها كتّاب شمال الهند منذ عام ١٩٩٠م، بالإضافة إلى استعراض الصحف والمجلات العربية التى لا تزال تصدر فى أنحاء شمال الهند أو بدأ إصدارها بعد ١٩٩٠م وتوقف صدور بعضها لبعض الأسباب.

ويجدر بالذكر هنا بأن الاصطلاح "الكتابات العربية" استخدم ليشمل الكتابات العربية بكل أنواعها أى الكتب والمقالات التى نشرت باللغة العربية، والاصطلاح "شمال الهند" يعنى المنطقة التى تشتمل على معظم الولايات الهندية الشمالية ككشمير، ودهلي، وأترابراديش، وبيهار، وآسام، والبنغال الغربية. والهند، كما يود الباحث أن يصرّح هنا بأنه قد انقسمت الهند إلى ثلاث مناطق فقط؛ وهى المنطقة الجنوبية، والمنطقة الشمالية، والمنطقة المركزية. وكذلك الباحث يريد أن يصرّح بأن "الكتابات العربية فى شمال الهند منذ عام ١٩٩٠م" تعني الكتب والمقالات العربية التى نشرها الكتّاب الذين سكنوا أو لايزالون يسكنون فى شمال الهند بعد ١٩٩٠م، ولا تشتمل هذه الدراسة على الكتابات العربية التى نشرها الهنود الشماليون الذين يسكنون خارج شمال الهند.

ويجدر بالذكر هنا أن هذا الباحث قد بذل جهودا كبيرة فى جمع جميع الكتابات العربية التى لها صلة بهذه الدراسة التحليلية. وخلال إعداد هذه الدراسة واجه مشقات كثيرة؛ فسافر إلى شتى المدن والقرى لجمع المواد وانتقاء المعلومات فى ربوع شمال الهند، ورغم ذلك لم تصل بعض المؤلفات إلى يده لأسباب

مختلفة، ومنها بعد_شمال شرقي الهند الجغرافي، و مشقة السفر منها إلى سائر الهند. وفى بعض الأحيان ذهب إلى بعض الكتّاب مرارا ولكن لم يمكن لقاؤه معهم وكذلك أن الفترة بعد ١٩٩٠م هى فترة لا تزال تجري وبعض الكتب لم تبلغ حتى الآن إلى المكتبات العامة بل تبقى لدى المطابع أو الناشرين، والمطابع فبعضها ليست مشهورة، وبعض الكتب لا توجد فى المكتبات التجارية الشهيرة أيضا، وكذلك بعض الكتّاب لم يكونوا مستعدين لتقديم معلوماتهم الشخصية إليه إذ هم على قيد الحياة، كما لم يعطه بعضهم كتاباتهم.

فقام الباحث فى هذه الدراسة بتحليل أهم الكتب التى قد نجح بجمعها، ولم يعتنني بالكتب المنقولة /المترجمة إلى العربية من اللغات الهندية أو الأجنبية الأخرى. وفيما يتعلق بالمقالات العربية، الصحفية أو التنظيمية، التى حرّرها علماء شمال الهند بعد عام ١٩٩٠م فليس عددها قليل بل فى الواقع القيام بجمعها وتحليلها كان أمرا صعبا جدا، لأن الوقت لهذا البحث العلمي كان محدودا. فلا تأتي ضمن هذه الدراسة المقالات غير المجموعة فى شكل الكتاب ومنتشرة فى مختلف الجرائد والمجلات. واكتفى الباحث فى تحليلها على استعراض شامل للجرائد والمجلات التى لا تزال تصدر فى أنحاء شمال الهند أو بدأ إصدارها بعد سنة ١٩٩٠م وتوقفت بعدها، فذكر أهدافها فى الإصدار وأنواع الموضوعات التى تصدر فيها وغيرها من أهم المعلومات عنها.

وعلاوة على فإن الباحث ألقى نظرة على خلفية تاريخية لهذا الموضوع وحاول استيعاب جميع الأوضاع والعوامل المؤثرة فى زيادة الإسهامات فى اللغة العربية فى العصر الراهن، فقام أولا بدراسة تاريخية للدراسات العربية فى شمال الهند حيث بجث عن العلاقات بشتى النواحي بين الهند والعرب عبر العصور، وعن وجود اللغة العربية فى العصور القديمة وكيفية انتشارها فى شمال الهند، وعن معظم الكتب العربية التى ألفها علماء شمال الهند قبل عام ١٩٩٠م، ثم تحدث بقدر من التفصيل عن المعاهد الدينية الإسلامية والمراكز التعليمية العلمانية التى تقدم دراسات اللغة العربية وآدابها فى شمال الهند، كما قدم تراجم أشهر الشخصيات لشمال الهند الذين قاموا لنشر الكتابات باللغة العربية بعد ١٩٩٠م بكل حيوية.

إن هذه الرسالة تهدف إلى دراسة الكتابات العربية موضوعا وأسلوبا، كما تهدف إلى تحقيق ما يتمتع به الكتّاب المعاصرين ببراعة، وتعيين مكاناتهم بين الكتّاب المتقدمين. ومن أجل الوصول إلى هذه الأهداف بطريق علمي وأسلوب حديث تم توزيع هذه الدراسة بين خمسة أبواب، بالإضافة إلى استهلال البحث وانفضاضه.

والباب الأول لهذا البحث ينقسم إلى ثلاثة فصول، ويدرس دراسة تاريخية للدراسات العربية فى شمال الهند. ومما بحثنا عنه هو تاريخ الصلات بين الهند والعرب عبر العصور، ونشأة اللغة العربية و تطورها فى شمال الهند، والآثار العربية فى شمال الهند قبل ١٩٩٠م .

والباب الثاني ينقسم إلى فصلين وهو يلقي الضوء على تاريخ المدارس الإسلامية الرائجة فى الهند بشكل عام، ويبحث عما أسست في الهند من أشهر مراكز الدراسات العربية فى شمال الهند-المدارس الإسلامية والجامعات العصرية- التى لعبت دورا هاما فى ترويج اللغة العربية فى بلاد الهند، وتدريس اللغة العربية فى هذه المراكز، بالإضافة إلى التفاصيل حول المراحل الدراسية ومساهماتها وانتاجاتها، والجوانب المهمة الأخرى التي تتعلق بها.

والباب الثالث أيضا يحويفصلين، ويناقش الكتب التى أنتجها العلماء والكتّاب لشمال الهند فى اللغة العربية بعد عام ١٩٩٠م بذكر أسماء هذه الكتب، ومؤلفيها ومكانات أعمالهم، وسني نشرها، وأماكن طباعتها، أسماء مطبعاتها، وأحجامها، ورقم طباعتها، وأرقام صفحاتها وما إليها من المعلومات اللازمة، وكذلك أن هذا الباب يذكر ثماني عشرة مجلة عربية تصدر من أنحاء شمال الهند مع معلومات كثيرة عنها من إنشائها وميادين دراساتها وأوقات نشرها.

والباب الرابع يشمل فصلين، ويناقش موجزا تراجم أشهر الكتّاب المعاصرين من شمال الهند الذين قاموا بإعداد كتابات جليلة بعد ١٩٩٠م باللغة العربية، ويلقي الأضواء على أعمالهم ومميزاتهم العلمية، ونبوغهم فى الكتابة العربية وبراعتهم فى مجالات مختلفة من الدين والعلم والمعرفة. وأما الكتّاب الذين جاء ذكرهم فى هذا الباب فهم من طبقتين من حيث المهنة: طبقة تنتمي إلى المعاهد الدينية الإسلامية، وطبقة تنتمي إلى المعاهد العلمانية أمثال الجامعات والكليات والمكتبات الحكومية. الفصل الأول يأتي بذكر الكتّاب المنتمين إلى المعاهد الدينية الإسلامية، والفصل الثاني بذكر الكتّاب المنتمين إلى المعاهد العلمانية.

والباب الخامس ينقسم إلى فصلين أيضا، و يدرس دراسة موضوعية وأسلوبية لمعظم الكتب العربية التى حرّرها علماء شمال الهند (التى طبعت ونشرت أولا بعد عام ١٩٩٠م) فى الموضوعات المختلفة، بما فيها اللغة العربية وآدابها ودراساتها، وفن الترجمة، وعلم التفسير، وعلم الحديث وأصوله، والفقة وأصوله، وعلوم اللغة والنحو والصرف والبلاغة، والخطابة، والسيرة والتراجم، والتاريخ والثقافة، والعقائد، والفرق والأديان، ومنهج التعليم والتربية ونظامها، والدعوة الإسلامية، وفن الصحافة، والقضايا الدينية والاجتماعية والسياسية والفكرية وغيرها، وكذلك يلقي الضوء على أهم المجلات والصحف العربية التى لاتزال تصدر من شمال الهند.

وخاتمة هذا البحث تتفرع إلى ثلاثة، فالفرع الأول يشتمل على نتائج هذه الدراسة، والفرع الثاني يتضمن الاستفسارات الرئيسية للبحث، والفرع الثالث يشتمل على المقترحات، ثم يأتى ثبت المصادر والمراجع، والملحق فى خلاصة البحث الإنكليزية.

وفيما يتعلق بمنهج الدراسة فهو واضح، أى هو منهج وصفي يمتاز بأسلوب علمي جامعي، فذكر الباحث الكتبَ يصف مؤلفيها، وسني نشرها، وأماكن طباعتها، أسماء مطبعاتها، وأحجامها، ورقم صفحاتها وما إليها من المعلومات، ثم أورد التفاصيل عن موضوعاتها والأساليب أختارها المؤلفون فى معالجة القضايا، ثم قام بمعالجتها قيمة وتعليقا. والمجلات والصحف فيصف فيها بمعلومات كثيرة عنها من إنشائها وميادين دراساتها وأوقات نشرها وخدماتها فى تطور اللغة العربية وما إليها من الجوانب الأخرى.

وبذل الباحث فى معالجة الموضوع جهدا بقدر ما تيسر له أن يجعله بحثا قيما، ولكنه لا يعلم إلى أي حد قد نجح جهده، والله أعلم ويدعوه أن يجعل عمله خالصا لوجهه الكريم.